سلسلة تفريغات شبكة بينونة

كيف نسعد بالإسلام

الشيخ د. هشام بن خليل الطوسي

قام به فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية
@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net
من هنا باقي التفريغات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسرُّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم محاضرة بعنوان

كَيْفَ نَسْعَدُ بِالإِسْلَامِ؟

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ:

د. هِشَام بِنْ خَلِيل الحُوسَنِي

-حفظه الله تعالى-

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن نبينا محمدًا عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

ثم أما بعد...

اعلموا معاشرَ الفضلاء:

➢ أنه قد عاشت البشرية قبل بعثة محمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- في جاهليةٍ جهلاء، وفي ضلالةٍ عمياء، يعبدون الأشجارَ والأحجارَ، والأصنام والكواكب والنجوم، والأنبياء والصالحين، يأكلون الميتات، يأكل القوي فيهم الضعيف، شركٌ أكبر صراح، ودعواتٌ للفساد واستحلالٌ للزنا والسِفاح، انتهاكٌ للأعراض، وإزهاقٌ للأرواح، قطعٌ واعتداءٌ على الأرحام، ونهبٌ وسلبٌ وإيغالٌ في المال الحرام؛

- هذا يدعو لافتراش الأمهات والبنات والأخوات، وذاك يدعو لوأدها ودفنها وهي لا تزال طفلة.
- هذا يجعل المرأة متاعًا يُنقَل بالميراث، وذاك يحرقها مع الأموات، وآخر يعتقدها شيطانًا.

إلى غير ذلك من المعتقدات والأفكار الضالة التي كانوا عليها.

➢ أما دين الحنيفية الذي لا دين لله غيره بين هذا الأديان الباطلة فكان أخفى من السُّها تحتَ السحاب، وقد نظر الله إلى أهل ارض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، كما جاء في حديث عياض بن حِمارٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- الذي أخرجه الطبراني في معجمه قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- في خطبةٍ خطبها: «إِنَّ اللهَ – عز وجل- أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، أَلا إِنَّ كُلَّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عِبَادِي فَهُوَ حَلالٌ لَهُمْ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ

دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ الَّذِي أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْعَثَنِي فَمَقَتَهُمْ كُلَّهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ».[1]

فبعثَ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- محمدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- للبشرية هاديًا مهديًّا؛ ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (1) اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: 1-2].

فأَطلعَ الله شمس الرسالة في حنادس تلك الظُلَم سراجًا منيرًا، وأنعم بها على أهل الأرض نعمةً لا يستطيعون لها شكورًا، وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا أكمل إشراق، وفاض ذلك حتى عمَّ النواحي والآفاق، واتسق قمر الهدى أتمَّ الإتساق، وقام دين الله الحنيف على ساق، فالله الحمد الذي أنقذنا بمحمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من تلك الظلمات، وفتح لنا به باب الهدى فلا يُغلَقُ إلى يوم الميقات.

وأرانا في نوره أهل الضلال وهم في ضلالهم يتخبَّطون، وفي سكرتهم يعمهون، وفي جهالتهم يتقلَّبون، وفي ريبهم يتردَّدون، يؤمنونَ ولكن بالجبت والطاغوت يُؤمنون، ويعدلونَ ولكن بربهم يعدلون، ويعلمون ولكن ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون، ويسجدون ولكن للوثن والشمس يسجدون، ويمكرون وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون.

- ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران:164].
- ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (151) فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: 151-152].

---

(1) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (8 / 158) برقم: (2865).

أخرج الإمامُ أحمد من حديث أم سلمة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- لما كانوا بأرض الحبشة، وفيه: أن النجاشي لما جاءه مشركو قريش طالبين منه ردَّ مَن لجأ إليه من قومهم، سأل أصحاب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قائلًا: "مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ؟ قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ؛ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ، -قَالَتْ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ- فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَشَقُّوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ.

قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ ﴿كهيعص﴾ [مريم:1] قَالَتْ: فَبَكَى وَاللهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَاللهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلِقَا فَوَاللهِ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا".[1]

(1) - أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (4 / 20) برقم: (2260).

هكذا معاشرَ الأحبة:

شرعَ الله على لسان خاتم النبيين من الأعمال ما فيه صلاح الخلق على أتمِّ الوجوه، وهو الكمالُ المذكور في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:3] فلم يُقبض رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حتى أُنزلَ عليه كل ما يحتاجه الناس من أمور دينهم وما فيه سعادتهم، فرسالتهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عامَّة بالنسبة إلى كل ما يحتاجُ إليه العباد في معارفهم وعلومهم وأعمالهم، ولم يُحوِج أمتهم إلى أحدٍ بعده.

جاء رجلٌ من اليهود إلى عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فقال: **"يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَأُونَهَا لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا، قَالَ: وَأَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: قَوْلُهُ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:3]، فَقَالَ عُمَرُ: وَاللهِ إِنِّي لأَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالسَّاعَةَ الَّتِي نَزَلَتْ فِيهَا عَشِيَّةَ عَرَفَةَ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ"**.[1]

قال ابن كثيرٍ -رَحِمَهُ الله تَعَالَى- في تفسيره: "هذه أكبرُ نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبيٍّ غير نبيهم، ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحلَّه، ولا حرام إلا ما حرَّمه، ولا دين إلا ما شَرعه، وَكل شيء أخبر به فهم حق وصدق لا كذب فيه كما قال الله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام:115] أي صدقًا في الإخبار وعدلًا في الأوامر والنواهي، فلما أكمل لهم الدين تمت النعمة عليهم، ورضيت لكم الإسلام دينًا فارضوه أنتم لأنفسكم".

قال ابنُ القيم -رَحِمَهُ اللهُ-: "فَالنِّعْمَةُ الْمُطْلَقَةُ :هِيَ الْمُتَّصِلَةُ بِسَعَادَةِ الْأَبَدِ، وَهِيَ نِعْمَةُ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ، وَهِيَ النِّعْمَةُ الَّتِي أَمَرَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ أَنْ نَسْأَلَهُ فِي صَلَاتِنَا أَنْ يَهْدِيَنَا صِرَاطَ أَهْلِهَا وَمَنْ خَصَّهُمْ بِهَا، ثم ذكر -رَحِمَهُ اللهُ- النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، ثم قال: فَهَؤُلَاءِ الْأَصْنَافُ الْأَرْبَعَةُ، هُمْ أَهْلُ هَذِهِ

---

(1) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (1 / 18) برقم: (45) ومسلم في "صحيحه" (8 / 238) برقم: (3017).

النِّعْمَةِ الْمُطْلَقَةِ، وَأَصْحَابُهَا أَيْضًا هُمُ الْمَعْنِيُّونَ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]".

قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: 58].

قال ابنُ عباسٍ وقتادة ومجاهد والحسن وغيرهم: "فَضْلُ الله الإسلام، ورحمته القرآن".

وقال وهب بن منبِّهٍ -رَحِمَهُ اللهُ-: "رؤوس النِعم ثلاثة:

- **فأولها**: نعمة الإسلام التي لا تتم نعمةٌ إلا بها.
- **والثانية**: نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها.
- **والثالثة**: نعمة الغِنَى التي لا يتم العيش إلا بها".

روى البخاري ومسلمٌ عن أبي موسى -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: يَا قَوْمِ؛ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالنَّجَاءَ.، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ»[1]، وهذا منه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- دليلٌ على شفقته على أمته، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرُّهم.

قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَتَهَافَتُونَ تَهَفُّتَ الفِرَاشِ»[2].

قال أنسٌ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "لما كان اليوم الذي قدِم فيه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان الذي مات فيه أظلمَ منها كل شيء، قال: وما نفضنا عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا"، فَصَلَوَاتُ ربِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ بلَّغَ البلاغ المبين، وما ترك شيئًا من الخير إلا ودلَّنا عليه، وما من شرٍّ إلا وحذَّرنا منه.

---

(1) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (1 / 27) برقم: (79) ومسلم في "صحيحه" (7 / 63) برقم: (2282).

(2) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (7 / 64) برقم: (2285).

قال أبو ذرٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "لقد تُوفِيَ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- وما طائرٌ يُقلِّب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا".

وروى مسلمٌ في صحيحهِ عن سلمان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه **قِيلَ لَهُ**: "قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى الْخِرَاءَةَ. قَالَ، أَجَلْ. لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، وَأَلَّا نَسْتَنْجِيَ بِاليَمِينِ". (1)

وعند أبي داود بسندٍ صحيحٍ عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ، فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الْغَائِطَ فَلاَ يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلاَ يَسْتَدْبِرْهَا وَلاَ يَسْتَطِبْ بِيَمِينِهِ»(2).

➢ **وهذا من تمام رحمته وكمال شَفَقَتِهِ على أمته -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام- أن يُبيِّن لهم ما فيه خيرهم وصلاحهم:**

فها هو يرى عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يقرأ في شيءٍ من الكتب السابقة فغضب -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقال: «أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»(3) رواه أحمد وحسَّنه الألباني.

➢ **وها هو يحثُّهم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على الجماعة ويُحذِّرهم من الخلافِ والفُرقة:**

قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلاَّ هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا؛ فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الأَنِفِ حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ»(4)

والحديثُ في السلسلةِ الصحيحة.

---

(1) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (1 / 154) برقم: (262).

(2) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (1 / 154) برقم: (265).

(3) - أخرجه أحمد في "مسنده" (6 / 3091) برقم: (14856).

(4) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (1 / 178) برقم: (5).

فما ترك -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من شيءٍ يُقرِّب إلى الجنة إلا أمر الخلق به، ولا من شيءٍ يُقرِّبهم من النار إلا نهاهم عنه، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزى نبيًّا عن أمته، وصدق ربنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ- إذ قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:107].

➢ **شملت رحمته القريب والبعيد، الصغير والكبير، الصديق والعدو، يأتيه الطفل الصغير فيرقُّ إليه ويرحمه، ويُمازحه ويُقبِّله:**

- يقول له الأعرابي: تُقبِّلون الصبيان فما نُقبِّلهم، فقال: «أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِن قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ».
- وهو القائل -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا»[1].
- قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4].
- وكان -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «إِنْ أَرَدْتَ تَلْيِينَ قَلْبِكَ فَأَطْعِمْ الْمِسْكِينَ وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ»[2].
- وصدق إذ قال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ»[3].

مَرِضَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ كان يخدمه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَتَاهُ يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ» فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهْوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهْوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ».

➢ **لم تقتصر رحمته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على الإنسان بل شملت حتى الدوابَ والحيوانات:**

قال ابن مسعودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي سَفَرٍ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا فَجَاءَتِ الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ ، فَجَاءَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

(1) - أخرجه الحاكم في "مستدركه" (1 / 62) برقم: (209).

(2) - أخرجه البيهقي في "سننه الكبير" (4 / 60) برقم: (7194).

(3) - أخرجه الحاكم في "مستدركه" (2 / 613) برقم: (4244).

وَسَلَّمَ- فَقَالَ: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا» وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا فَقَالَ: «مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟» قُلْنَا: نَحْنُ. قَالَ: «إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلاَّ رَبُّ النَّارِ»[1].

ومرَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على رجلٍ واضعٍ رجله على صفحة شاةٍ وهو يحدُّ شفرته وهي تلحظ إليها ببصرها قال: «أَفَلَا قَبْلَ هَذَا، أَوَ تُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَاتٍ»[2] والحديثُ في [صحيح الترغيب].

ورآه الجمل فَحَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ: «مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟» فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللهِ. فَقَالَ: «أَفَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا؟ فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ»[3].

بل إن الجذع الذي كان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذا خطب يقوم عليه قد حنَّ إليه، فلما اتخذ المنبر ذهب إلى المنبر فحنَّ الجذع فأتاه فاحتضنه فسكن، فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[4] والحديثُ في الصحيح.

وكان يقول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»[5].

نالت منه قريشٌ بعد وفاة عمه أبو طالب ما لم تكن تنال منه في حياة عمه، وبالغوا في تعذيب أصحابه فخرج للطائف يلتمس النصرة من ثقيف، ورجى أن يقبلوا منه الإسلام، فقابلوه بالتكذيب وتسليط سفهائهم عليه، يرمونه بالحجارة حتى أدموا رجليه، فلما بلغ قرن المنازل رفع رأسه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فإذا هو بسحابةٍ قد أظلته، فنظر فإذا هو جبريل فقال: **"إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِم، فَنَادَاهُ مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا**

---

(1) - أخرجه النسائي في "الكبرى" (8 / 22) برقم: (8560).

(2) - أخرجه الحاكم في "مستدركه" (4 / 231) برقم: (7658).

(3) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (1 / 184) برقم: (342).

(4) - أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (3 / 257) برقم: (1776).

(5) - أخرجه الترمذي في "جامعه" (3 / 472) برقم: (1908).

مُحَمَّدُ؛ إِنْ شِئْتَ: أَطْبَقْتُ عَلَيهِمُ الأَخْشَبَيْن فقال: «بلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله مِنْ أَصْلابِهِم منْ يعْبُدُ الله وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[1].

واتفق قومه على قتلهِ وهدر دمه يوم الهجرة فخرج مع الصديق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- حتى انتهيا إلى الغار فاختبأ فيه وأبو بكرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يسمع أصواتهم، فأقبل عليه الهمَّ والحزن والخوف، فقال: يَا رَسُولَ اللهِ؛ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ له النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بكل ثقةٍ واطمئنان: «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا»[2].

ويُدركه سراقة ابن مالك في طريق هجرته وقد جعلت قريش الجُعلى العظيمة في طلبه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فيقول له بكل ثقةٍ وحسن ظنٍّ بالله ويقينٍ بنصره: «كَيْفَ بِكَ إِذَا لَبِسْتَ سِوَارَيْ كِسْرَى؟».

وتجتمعُ عليه الأحزاب يوم الخندق يُريدون القضاء على دعوته، فيُخاطب أصحابه بكل يقينٍ وثبات، وتصديقٍ لوعد الله وخبره: «اللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، اللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، اللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ»[3] ثقةً وحسن ظنٍّ بالله القائل: **"أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ"**.

فهذا الإيمانُ العظيم، وهذا اليقين الراسخ كان له أعظم الأثر على أصحابه في ثباتهم وقوةِ إيمانهم، فبالرغم من اشتداد الأمور عليهم إلا أنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان دائمًا البشر، حسن العشرة، كريم السجايا، وما كان أحدٌ أكثر تبسُّمًا من رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- القائل: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ»[4].

- قال جريرٌ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "ما حجبني رسولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسَّم في وجهي".

---

(1) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (4 / 115) برقم: (3231).

(2) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (5 / 4) برقم: (3653).

(3) - أخرجه أحمد في "مسنده" (8 / 4259) برقم: (18994).

(4) - أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (2 / 221) برقم: (474).

- وكان -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- يقول: «يُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ؛ الْكَلِمَةُ الْحسَنَةُ» ويكره الطيرة والتشاؤم ويقول: «إِنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا».

فما يقضي الله تعالى للعبد قضاءً إلا كان فيه خيرٌ له؛ فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، و﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:10].

قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «عَجَبًا لأمرِ المؤمنِ إِنَّ أمْرَه كُلَّهُ لهُ خَيرٌ؛ إِنْ أصَابتهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيرًا لهُ، وإِنْ أصَابَتهُ ضَرَّاءُ صَبرَ فَكَانَ خَيرًا لهُ، وليسَ ذلكَ لأحَدٍ إلا للمُؤْمنِ»[1].

➢ **فالعبدُ معاشر الأحبة إذا أُنعِم عليه شكر، وإذا ابتُلي صبر، وإذا أذنبَ استغفر، وهذه الأمور الثلاثة عنوانُ سعادة العبد، وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه، ولا ينفكُّ العبد عنها أبدًا؛**

قال الإمام ابن القيم -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: "علامة السَّعَادَةِ أن تكون حَسَنَاتُ العَبْد خلف ظَهره وسيئاته نصب عَيْنَيْهِ، وعلامة الشقاوة أن يَجْعَل حَسَنَاته نصب عَيْنَيْهِ وسيئاته خلف ظَهره" انتهى كلامه -رَحِمَهُ اللهُ-.

➢ **فما أعظمه من دين، وما أكملها من شريعة، شملت جميع جوانب الحياة وكل ما يحتاجه العبد في صلاح معاشه ومعاده، وما ينتفع به في دنياه وآخرته:**

قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ»[2]؛ سمحةٌ في أخبارها، سمحةٌ في أوامرها ونواهيها وأحكامها.

قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:89].

قال السعدي -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: "في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين، وفي كل ما يحتاج إليه العباد؛ فهو مبيَّنٌ فيه أتم تبيين، بألفاظٍ واضحة، ومعانٍ جلية حتى إنه تعالى يُثنِّي فيه الأمور الكبار التي يحتاج القلب لمرورها عليه كل وقت، وإعادتها في كل ساعة، ويُعيدها ويُبديها بألفاظٍ مختلفة وأدلةٍ

---

(1) - أخرجه مسلم في "صحيحه" (8 / 227) برقم: (2999).

(2) - أخرجه أحمد في "مسنده" (10 / 5241) برقم: (22722).

متنوعة لتستقر في القلوب فتُثمر من الخير والبر بحسب ثبوتها في القلب، وحتى إنه تعالى يجمع في اللفظ القليل الواضح معاني كثيرة؛ حيث يكون اللفظ لها كالقاعدة والأساس" انتهى كلامه -رَحِمَهُ اللهُ-.

➢ **وفي هذا ما يدلُ على كمال الشريعة من كل جهة:**

لذلك أقبلَ الناس على دين الله أفواجًا لما رأوا من حُسنه وجماله وكمالِ تشريعاته، فإذا تأمل العبد الحكمة الباهرة في هذه الشريعة الإسلامية التي لا تنال العبارة كمالها، ولا يُدرِك الوصف حسنها، ولا تقترح عقول العقلاء فوقها، وحسْبُ العقول الكاملة أن أدركت حُسْنها، وأنه ما طرق العالم شريعةٌ أكمل ولا أجلَّ منها، ولو لم يأتِ الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ببرهانٍ عليها لكفى بها برهانًا وآيةً على أنها من عندِ الله، فهي من أعظم الله التي أنعم بها على عباده كما جاء في قولهِ تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران:164].

فإذا عَرف العبد حقيقة هذا الدين القويم انفتح له بابٌ عظيمٌ من أبواب العلم والإيمان، وازداد به إيمانًا على إيمانه.

يقول ابن القيم: "والمقصودُ أنَّ خواصَّ الأُمَّةِ ولُبابَها لمَّا شَهِدَتْ عقولُهُم حُسْنَ هذا الدِّينِ وجلالَتَه وكمالَه، وشَهِدَتْ قُبْحَ ما خالفه ونَقْصَه ورداءتَه؛ خالَطَ الإيمانُ به ومحبَّتُهُ بشاشةَ قلوبهم، فلو خُيِّرَ بين أَنْ يُلْقى في النار وبين أَنْ يختارَ دِينًا غيرَه لَاختارَ أَنْ يُقْذَف في النَّارِ وتُقَطَّعَ أعضاؤه ولا يختار دِينًا غيرَه. وهذا الضربُ مِنَ الناس هم الذين استقرَّتْ أقدامُهم في الإيمان، وهم أبعدُ الناسِ عن الارتداد عنه، وأحقُّهم بالثَّبات عليه إلى يومِ لقاءِ الله" انتهى كلامه.

فمعرفةُ العبد لمحاسنِ الدين الإسلامي وما يتميز به عن سائر الأديان مما يزيد في الإيمان، ويسعد به الإنسان، وخصوصًا إذا تأملَ ما تشتمل عليه الأديان الأخرى من المنكرات والأباطيل، وصَرْفِ العبادة إلى من لا يستحقها من المخلوقات التي لا تملِك ضرًّا ولا نفعًا.

ولهذا قال هرقل عظيم الروم لأبي سفيان: "وسَأَلْتُكَ، هلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بالكَذِبِ قَبْلَ أنْ يَقُولَ ما قَالَ؟ فَذَكَرْتَ أنْ لَا، فقَدْ أعْرِفُ أنَّه لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الكَذِبَ علَى النَّاسِ ويَكْذِبَ علَى اللهِ. وسَأَلْتُكَ أشْرَافُ النَّاسِ

اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ وهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ. وسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ وكَذلكَ أَمْرُ الإِيمَانِ حتَّى يَتِمَّ. وسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وكَذلكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ القُلُوبَ. وسَأَلْتُكَ هلْ يَغْدِرُ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وكَذلكَ الرُّسُلُ لا تَغْدِرُ. وسَأَلْتُكَ بما يَأْمُرُكُمْ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّه يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ ولَا تُشْرِكُوا به شيئًا، ويَنْهَاكُمْ عن عِبَادَةِ الأَوْثَانِ، ويَأْمُرُكُمْ بالصَّلَاةِ والصِّدْقِ والعَفَافِ، فإِنْ كانَ ما تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وقدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّه خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّه مِنكُمْ، فلوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، ولو كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عن قَدَمِهِ" والحديث في [الصحيحين].[1]

قال ابن القيم -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: "وَمِنْ هُنَا تَعْلَمُ اضْطِرَارَ الْعِبَادِ فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ إِلَى مَعْرِفَةِ الرَّسُولِ وَمَا جَاءَ بِهِ، وَتَصْدِيقِهِ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ، وَطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ، فَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى السَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا عَلَى أَيْدِي الرُّسُلِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ الطَّيِّبِ وَالْخَبِيثِ عَلَى التَّفْصِيلِ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِمْ، وَلَا يُنَالُ رِضَا اللهِ الْبَتَّةَ إِلَّا عَلَى أَيْدِيهِمْ، فَالطَّيِّبُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَخْلَاقِ لَيْسَ إِلَّا هَدْيَهُمْ وَمَا جَاءُوا بِهِ، فَهُمُ الْمِيزَانُ الرَّاجِحُ الَّذِي عَلَى أَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ تُوزَنُ الْأَقْوَالُ وَالْأَخْلَاقُ وَالْأَعْمَالُ، وَبِمُتَابَعَتِهِمْ يَتَمَيَّزُ أَهْلُ الْهُدَى مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ، فَالضَّرُورَةُ إِلَيْهِمْ أَعْظَمُ مِنْ ضَرُورَةِ الْبَدَنِ إِلَى رُوحِهِ وَالْعَيْنِ إِلَى نُورِهَا وَالرُّوحِ إِلَى حَيَاتِهَا؛ فَأَيُّ ضَرُورَةٍ وَحَاجَةٍ فُرِضَتْ، فَضَرُورَةُ الْعَبْدِ وَحَاجَتُهُ إِلَى الرُّسُلِ فَوْقَهَا بِكَثِيرٍ. وَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ إِذَا غَابَ عَنْكَ هَدْيُهُ وَمَا جَاءَ بِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ فَسَدَ قَلْبُكَ، وَصَارَ كَالْحُوتِ إِذَا فَارَقَ الْمَاءَ وَوُضِعَ فِي الْمِقْلَاةِ، فَحَالُ الْعَبْدِ عِنْدَ مُفَارَقَةِ قَلْبِهِ لِمَا جَاءَ بِهِ الرُّسُلُ كَهَذِهِ الْحَالِ بَلْ أَعْظَمُ، وَلَكِنْ لَا يُحِسُّ بِهَذَا إِلَّا قَلْبٌ حَيٌّ.

(وَمَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلَامُ) وَإِذَا كَانَتْ سَعَادَةُ الْعَبْدِ فِي الدَّارَيْنِ مُعَلَّقَةً بِهَدْيِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ وَأَحَبَّ نَجَاتَهَا وَسَعَادَتَهَا أَنْ يَعْرِفَ مِنْ هَدْيِهِ وَسِيرَتِهِ وَشَأْنِهِ مَا يَخْرُجُ بِهِ

(1) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (1 / 8) برقم: (7) ومسلم في "صحيحه" (5 / 163) برقم: (1773).

عَنِ الْجَاهِلِينَ بِهِ، وَيَدْخُلُ بِهِ فِي عِدَادِ أَتْبَاعِهِ وَشِيعَتِهِ وَحِزْبِهِ، وَالنَّاسُ فِي هَذَا بَيْنَ مُسْتَقِلٍّ وَمُسْتَكْثِرٍ وَمَحْرُومٍ، وَالْفَضْلُ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ" انتهى كلامه -رَحِمَهُ اللهُ-.

قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام:122] كان ميتًا بالكفر والجهل فأحياه الله بالإيمان والعلم، وجعل له بالقرآن والإيمان نورًا يستضيء به في الناس على قصد السبيل ويمشي به في الظُّلَم، وهذه ثمرةٌ عظيمة من أعظم ثمرات الإيمان.

فالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يقرن بين الحياة والنور في غيرما آية كما قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:52] أي جعلنا ذلك الروح الذي أوحيناه إليك نورًا فسماه روحًا لما يحصل به من الحياة، وجعله نورًا لما يحصل به من الإشراق والإضاءة، وهما متلازمان؛

- فحيثُ وَجِدت هذه الحياة بهذا الروح وَجِدت الإضاءة والاستنارة.
- وحيثُ وجدت الاستنارة والإضاءة وجدت الحياة.

فمن لم يقبل قلبه هذا الروح فهو ميتٌ مظلم، كما أن من فارق بدنه روح الحياة فهو هالكٌ مضمحل.

➢ **وإن من أهم أسباب السعادة معاشر الفضلاء التي تحصل بها الحياةُ الطيِّبة، ويتمُّ بها السرور وانشراح الصدر، وتزول عنها الهموم والغموم**: هو الإيمانُ والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:97].

قال ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ-: "فَهَذَا خبر أصدق الصَّادِقين، ومخبره عِنْد أهله عين الْيَقِين بل هُوَ حق الْيَقِين، وَلَا بُد لكل من عمل صَالحًا وهو مؤمن أن يحييه الله حَيَاةً طيبَة بِحَسب إيمَانه وَعَمله".

ومن تأمل قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما نهاهم عن الوصال قَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ. قَالَ: «إِنِّي لَسْتُ كَهَيْأَتِكُمْ، إِنِّي أَظَلُّ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي»[1] علِم أن هذا طعام الأرواح وشرابها، وما يفيض علينا

---

(1) - أخرجه البخاري في "صحيحه" (3 / 37) برقم: (1965).

من أنواع البهجة واللذة والسرور والنعيم الذي رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الذروة العُليا منه وغيره إذا تعلَّق بغباره رأى مُلْك الدنيا ونعيمها بالنسبة إليه هباءً منثورًا، بل باطلًا وغرورًا.

فهذه الحياة الطيِّبة معاشر الأحبة التي عاشها هؤلاء الصالحون ما كانت إلا بسبب إيمانهم وتعلُّقهم بالله تعالى في هذه الدنيا، فتحصَّلوا على هذه اللذات العظيمة، و﴿مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص:60] فالإيمانُ بالله وعبادته ومحبَّته، وإخلاص العمل له، وإفراده بالتوكل عليه هو غذاء الإنسان وقوته وصلاحه.

وقرَّة عين المحبِّ في الصلاة والحجِّ، وفرح قلبه وسروره ونعميه في ذلك، وفي الصيام، وفي الذكر، وفي التلاوة، وأما فالصدقة فعجبٌ من العجب، وأما الجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، والصبر على أعداء الله سبحانه فاللذةُ بذلك أمرٌ آخر لا يناله الوصف، ولا يُدركه من ليس له نصيبٌ منه، وكل من كان به أقوم كان نصيبه من الالتذاذ به أعظم.

قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:28] فالإيمان معاشر الفضلاء هو مصدر الأمان والطمأنينة، فدوام ذِكرك لربك -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده، فإن نسيان الرب -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يوجب نسيان نفسه ومصالحها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر:19] فإذا نسي العبد نفسه أعرض عن مصالحها، ونسيها واشتغل عنها؛ فهلكت وفسدت ولا بد.

قال ابن القيم -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: " ولو لم يكن إلا ما يُجَازى به المحسن من انشراح صدره، وانفساح قلبه وسروره ولذاته بمعاملة ربه -عَزَّ وَجَلَّ-، وطاعته وذكره ونعيم روحه بمحبته وذكره، وفرحه بربه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أعظم مما يُفرِح القريب من السلطان الكريم عليه بسلطانه.

وما يُجَازى به المسيء من ضيق الصدر وقسوة القلب وتشتته وظلمته، وحزازاته وغمه وهمه وحزنه وخوفه، وهذا أمرٌ لا يكاد من له أدنى حس وحياةٌ يرتاب فيه، بل الغمومُ والهمومُ والاحزانُ والضيق عقوبات عاجلة ونار دنيوية وجهنم حاضرة، والإقبالُ على الله تعالى والإنابة إليه، والرضا به وعنه،

وامتلاء القلب من محبته، واللهجُ بذكره، والفرح والسرور بمعرفته ثوابٌ عاجل، وجنَّة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه البتة.

وسمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: "إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخلُ جنة الآخرة".

وقال لي مرة: "ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة".

وعلم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدِّها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه.

وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحًا وقوةً ويقينًا وطمأنينة؛ فسبحان من أشهد عباده جنَّته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها" انتهى كلامه -رَحِمَهُ اللهُ-.

فالطمأنينة والأمان حاصلان للعبد بسبب إيمانه بالله تعالى، وإقباله عليه، وتوكله عليه في جميع أموره، فلا يلتفت إلى ما يصرفه عن طاعة باريه والتقرُّب إليه، بل يُقبل على ربه بقلبٍ منكسرٍ ذليلٍ متواضع، قد وضع نفسه بين يدي ربه ليتوب عليه ويُعطيه أجره الكريم وثوابه الجزيل.

وفي الحديث عنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ المَعَادِ: كَفَاهُ اللهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا: لَمْ يُبَالِ اللهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ»[1].

(1) - أخرجه الحاكم في "مستدركه" (2 / 443) برقم: (3679).

قال عليٌّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولك واحدةٍ منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عملٌ ولا حساب، وغدًا حسابٌ ولا عمل".

قال ابن القيم -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: "وَأَيُّ حَيَاةٍ أَطْيَبُ مِنْ حَيَاةِ مَنِ اجْتَمَعَتْ هُمُومُهُ كُلُّهَا وَصَارَتْ هَمًّا وَاحِدًا فِي مَرْضَاةِ اللهِ؟ وَلَمْ يَتَشَعَّبْ قَلْبُهُ، بَلْ أَقْبَلَ عَلَى اللهِ وَاجْتَمَعَتْ إِرَادَتُهُ وَأَفْكَارُهُ عَلَى اللهِ تَعَالَى، فَصَارَ ذِكْرُهُ لِمَحْبُوبِهِ الْأَعْلَى وَحُبُّهُ وَالشَّوْقُ إِلَى لِقَائِهِ، وَالْأُنْسُ بِقُرْبِهِ هُوَ الْمُسْتَوْلِي عَلَيْهِ، وَعَلَيْهِ تَدُورُ هُمُومُهُ وَإِرَادَتُهُ وَقُصُودُهُ بِكُلِّ خَطَرَاتِ قَلْبِهِ؛ فَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ بِاللهِ، وَإِنْ نَطَقَ نَطَقَ بِاللهِ، وَإِنْ سَمِعَ فَبِهِ يَسْمَعُ، وَإِنْ أَبْصَرَ فَبِهِ يُبْصِرُ، وَبِهِ يَبْطِشُ، وَبِهِ يَمْشِي، وَبِهِ يتَحَرَّكَ، وَبِهِ يَسْكُنُ، وَبِهِ يَحْيَا، وَبِهِ يَمُوتُ، وَبِهِ يُبْعَثُ" انتهى كلامه -رَحِمَهُ اللهُ-.

فما أعظمها من سعادة، وأهنأه من عيشٍ أكرمنا الله به، ومنَّ علينا به أن هدانا للإسلام ووفَّقنا لاتباعه، وشرَّفنا بالانتساب إليه، لا فضل منَّا بل هو محضُ فضل الله ومنَّته، وجوده وكرمه، فالحمد لله الذي أغنانا بشريعته التي تدعو إلى الحكمة والموعظة الحسنة، وتتضمن الأمر بالعدل والإحسان، والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، فله المِنَّةُ والفضل على ما أنعم به علينا وآثرنا به على سائر الأمم، وإليه الرغبة أن يوزعنا شكر هذه النعمة، وأن يفتح لنا أبواب التوبة والمغفرة والرحمة، فأحبُّ الوسائل إلى المحسن التوسُّل إليه بإحسانه، والاعتراف له بأنه الأمر كله محض فضله وامتنانه، فله علينا المنَّة السابغة، كما له علينا الحُجَّة البالغة، نبوء له بنعمه علينا، ونبوء بذنوبنا وخطايانا وجهلنا وظلمنا، وإسرافنا في أمرنا.

فهذه بضاعتنا التي لدينا لم تُبقِ لنا نعمه وحقوقها وذنوبها حسنة، نرجو بها الفوز بالثواب، والتخلُّص من أليم العقاب، بل بعض ذلك يستنفذ جميع حسناتنا، ويستوعب كل طاعتنا، هذا لو خلُصت من الشوائب، وكانت خالصةً لوجهه واقعةً على وِفْقِ أمره، وما هو والله إلا التعلُّق بأذيال عفوه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وحُسْن الظن به، واللجأ منه إليه، والاستعاذة به منه، والاستكانة والتذلُّل بين يديه، ومدُّ يد الفاقة والمسكنة إليه بالسؤال والافتقار إليه في جميع الأحوال؛ فمن أصابته نفحةٌ من نفحات رحمته، أو وقعت

عليه نظرةٌ من نظرات رأفته انتعش من بين الأموات، وأناخت بفنائه وفود الخيرات، وترحَّلت عنه جيوش الهموم والغموم والحسرات؛

وَإِذَا نَظَـرْتَ إِلَـيَّ نَظْـرَةَ رَاحِـمٍ فِـي الـدَّهْرِ يَوْمًـا إِنَّنِـي لَسَـعِيدُ

نكتفي بهذا القدر، وصلَّ الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

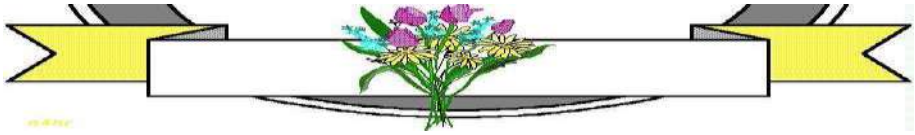

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة, يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

【 Twitter تويتر 】
https://twitter.com/BaynoonaNet
【 Telegram تيليجرام 】
https://telegram.me/baynoonanet
【 Facebook فيسبوك 】
https://m.facebook.com/baynoonanetuae/
【 Instagram انستقرام 】
https://instagram.com/baynoonanet
【 WhatsApp واتساب 】
احفظ الرقم التالي في هاتفك☏
https://api.whatsapp.com/send?phone=971555409191
أرسل كلمة "اشتراك"
تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك
((لن تتمكن من استقبال الرسائل))
【 تطبيق الإذاعة 】
لأجهزة الأيفون
https://appsto.re/sa/gpi5eb.i
لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/nJrA9j
【 Youtube يوتيوب 】
https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE
【 Tumblr تمبلر 】
https://baynoonanet.tumblr.com/
【 Blogger بلوجر 】
https://baynoonanet.blogspot.com/
【 Flickr فليكر 】
https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/
【 لعبة كنوز العلم 】
لأجهزة الأيفون
https://goo.gl/Q8M7A8

لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/vHJbem
【 Vk في كي 】
https://vk.com/baynoonanet
【 Linkedin لينكدان 】
https://www.linkedin.com/in/669392171-شبكة-بينونة-للعلوم-الشرعية
【 Reddit ريديت 】
https://www.reddit.com/user/Baynoonanet
【 chaino تشينو 】
https://www.chaino.com/profile?id=5ba33e0c772b23d5bb7daf0a
【 Pinterest بنترست 】
https://www.pinterest.com/baynoonanet/
【 Snapcha سناب شات 】
https://www.snapchat.com/add/baynoonanet
【 تطبيق المكتبة 】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/33uUnQr
لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/WNbvqL
【 تطبيق الموقع 】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/2Zvk8OS
لأجهزة الأندرويد
https://bit.ly/3fFoxWe
【 البريد الإلكتروني 】
info@baynoona.net
【 الموقع الرسمي 】
http://www.baynoona.net/ar/

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية